



الصمت الأسري هل أصبح مرضاً يهدد الأسرة العربية؟؟؟!

القاهرة - شيماء مصطفى المليجي*

د. أحمد علي المجدوب:

الصمت الأسري يؤدي إلى التشكك والفرقة.

د. سهر صلاح الدين عابد بن:

ينبغي للحوار الأسري أن يكون هادئاً وهادئاً.

د. لبلبى عبدالمجيد:

الفضائيات ووسائل التقنية الحديثة أسهمت في انعدام روح الحوار داخل الأسرة.

د. عزة عبد الكريم:

انقطاع الحوار الأسري منذ الصغر يؤدي إلى انقطاع صلة الرحم في الكبر.

إن الحقيقة المفجعة والمؤلمة لهذا العصر هي تخلينا بشكل شبه دائم عن تلك المقومات التي على أساسها تنتج الأسرة أبناء صالحين لمجتمعهم وأمتهم.. ولعل من أهم وأخطر تلك المقومات هو الحوار الأسري واقتاده بين أفراد الأسرة الواحدة.. خاصة بعد أن أصبحت الشبكة العنكبوتية (الانترنت) والقنوات الفضائية الجيدة منها وغير الجيدة المتهمين في إخفاء العلاقات الأسرية والسارق البارع لأوقات أفراد الأسرة حتى استطاعت بالتدرج أن تصيب أفراد الأسرة الواحدة بمرض الصمت الأسري.. الذي قد يبدو شيئاً صغيراً ليس له آثار جانبية إذا انعدم ولكنه في الحقيقة أصبح قضية مهمة وخطيرة تؤثر على بناء المجتمع والأمة العربية والإسلامية بأكملها.

الأمن والحياة تفتح ملفاً خطيراً حول ظاهرة الصمت الأسري وتفشيها في كثير من المجتمعات العربية لما لها من خطورة على أفراد الأسرة وعلى الأجيال القادمة.

التفكك والفرقة

في البداية التقينا د. أحمد مجدوب أستاذ علم الاجتماع ورئيس المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية الأسبق الذي قال في بداية حديثه :

قد تكون طبيعة الحياة العصرية الحالية وأدواتها وتداخل الثقافات فيها سبباً رئيساً لانتشار ظاهرة الصمت الأسري أو فقدان لغة الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة، الأمر الذي أدى إلى زيادة المشاكل الأسرية وانعدام روح الحوار في المنازل وعلو الأصوات وتفشي الجدل... فنجد أهل المنزل الواحد لا يتقنون ببعضهم ضعيفي التواصل لا يجيدون لغة الحوار لعرض مشاكلهم وحلها.

الأمر الذي أدى إلى تفكك الأسرة وفرقتها وسيادة البغض من قبل الأبناء تجاه الآباء هذا فضلاً عن غياب المشاركة بين الآباء والأمهات من ناحية وبين الأخوة والأخوات من ناحية أخرى وكان لهذا مردوده السلبي في تحويل الأبناء إلى قنابل موقوتة في المجتمع بسبب افتقارهم للغة الحوار الذي يمتص غضبهم ويخفف توترهم ويوسع آفاق فكرهم ويعطيهم القدرة على التعامل مع الحياة بشكل أفضل.

فمن خلال الحوار الأسري يفرغ الأبناء وكذلك الزوجين كل الضغوط النفسية التي يعانونها بطريقة سليمة وآمنة حيث يعرف الحوار الأسري السليم على أنه التفاعل بين أفراد الأسرة الواحدة عن طريق المناقشة والحديث عن كل ما يتعلق بشئون الأسرة من أهداف ومقومات وعقبات وبطريقة هادئة يتم وضع الحلول لها وذلك من خلال تبادل الأفكار والآراء الجماعية حول محاور عديدة ما يؤدي إلى خلق روح الألفة والمحبة والتواصل بين أفراد الأسرة الواحدة.

وعن أهمية الحوار الأسري وفائدته بالنسبة للأسرة والمجتمع تقول د. رانيا عابدين سعيد أستاذ علم النفس بكلية البنات - جامعة عين شمس: إن الحوار الأسري في مجمله يعد أساسياً وضرورياً لقيام علاقات أسرية حميمة بعيدة عن التفرق والتقاطع، هذا فضلاً عن



المشاركون في الحوار:

○ د. أحمد علي المجدوب:

رئيس المركز القومي للبحوث الاجتماعية.

○ د. سير صلاح الدين عابدين:

كلية رياض الأطفال - جامعة الزقازيق.

○ د. ليلي عبدالمجيد:

كلية الإعلام - جامعة القاهرة..

○ د. عزة عبدالكريم:

المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة

البناء حيث يجب على كل أبوين تدريب الأجيال القادمة على الديمقراطية البيئية ومناقشة اتخاذ القرار النهائي وذلك لما أثبتته الدراسات والبحوث العلمية بأن تضامن الأب والأم معاً في كل المجالات سيساعد على احترام الأبناء لأولياء الأمور.

غياب الحميمية

وعن أسباب انعدام الحوار الأسري وفشله في الوقت الحاضر تحدثت د. ليلي عبدالمجيد الأستاذة بكلية الإعلام - جامعة القاهرة قائلة: مع ازدياد وسائل التقنية المتنوعة من قنوات فضائية وشبكة انترنت ووسائل اتصال هاتفية على أعلى مستوى من التقدم انعدمت لغة الحوار الأسري وازدادت مشاكل عدم تحاورها وتربطها فانعدمت روح الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة وازدادت الفجوة بين الزوجين وأبنائهم وغابت الحميمية بين أفراد الأسرة.



أهميته في تنشئة الأبناء نشأة سوية صالحة بعيدة عن الأمراض النفسية هذا بجانب دوره في خلق التفاعل بين الطفل وأبويه مما يساعد الأبوين على اقتحام عالم الطفل الخاص به وكذلك سهولة الكشف عن بؤر السلوك غير السوي عند الطفل مما يسهل مهمة تقويم ذلك السلوك الخاطئ في وقت قريب كذلك يجعل الأبوين أكثر قدرة على فهم احتياجات الأبناء التربوية المتمثلة في بناء شخصياتهم فيعزز بذلك الثقة في الأبناء مما يجعلهم أكثر قدرة على تحقيق طموحاتهم وآمالهم.

وبما أن الأسرة تعد هي المصدر الأول لمعرفة الطفل والأكثر مصداقية بالنسبة له فإن توافر الحوار الأسري داخلها يكسبه مبادئ الحقائق الصحيحة ويبعده كل البعد عن أية انحرافات أخلاقية وسلوكية قد يتعرض لها من خلال تعامله مع الآخرين، كذلك فإن للحوار الأسري قيمة حضارية للمجتمع بأكمله وذلك لأنه يجعل من الأسرة بنياناً قوياً كالشجرة الصالحة التي لا تثمر إلا ثماراً صالحة طيبة كذلك أن توافر لغة الحوار الأسري بين أفراد المجتمع تخرج أجيالاً على قدر كبير من الثقافة والعلم قادرين على التغيير والإصلاح... أجيالاً أسوياء تربوا على احترام الرأي والرأي الآخر، أجيالاً تربوا على التعاون في اطار الأسرة والمناقشة في اتخاذ القرار...

أما عن شروط وأسس قيام الحوار الأسري الناجح فتقول د. سحر صلاح الدين عابدين - كلية رياض الأطفال - جامعة الزقازيق إن من أهم شروط قيام حوار أسري سليم ومثمر هو ابتداء لغة الحوار منذ مرحلة الطفولة حتى يتربى الطفل منذ نعومة أظفاره على لغة الحوار فيصير شاباً ناضجاً يقدس ويحترم الحوار الأسري، كذلك لا بد وأن يتسم الحوار الأسري بالهدوء ويكون حواراً هادفاً يهدف إلى حل مشكلات الأسرة المتعلقة بجميع الجوانب الإنسانية والعاطفية والاقتصادية والاجتماعية... وغيرها.

وعلى المتحاورين من أفراد الأسرة أن يضعوا مصلحة الأسرة العامة فوق كل اعتبار في الحوار كذلك ينبغي لأفراد الأسرة أثناء تحاورهم مع بعضهم تعلم فن الإصغاء والاستماع من قبل المتلقي والمستمع وذلك بالنظر إلى تعابير وجه المتحدث وعينه أثناء إدارة الحوار.. أيضاً من الضروري أن تتوفر الثقة بين أطراف الحوار في الأسرة وأن يكون حواراً مبنياً على الاحترام المتبادل بين الأطراف التي تبدي آراءها وأفكارها لذا ينبغي للأباء تجنب اتباع أسلوب الاستهزاء في حوارهم لأبنائهم وعليهم أيضاً أن يجيدوا كيفية التعامل مع الجوانب الحساسة التي قد يفتحها أبنائهم بأسئلتهم.

كذلك فإنه من الواجب على المتحاورين سواء الآباء أم الأبناء أن يتفهموا أساليب وأسرار الحوار الفعالة وأن يتسم الحوار بالهدوء والرزانة وتقبل الاختلاف في الآراء وذلك من خلال التشاور والتحاور والتأني بالحكم وتؤكد أهمية تعويد الأبناء وهم صغار نكورا أم إنانا على الحوار الهادف والمناقشة الممتعة والانتقادات



ولكن ليس من المفروض أن تتوحد الآراء في البيت الواحد أو يتفق الجميع على نفس الموقف أو الرأي وذلك نتيجة لما أسهمت به التقنية الحديثة والمجال الإعلامي الواسع... فنحن لسنا ضد التقدم ولا الرقي ولا محاربة التقنية الحديثة.

ولكننا نحارب الصمت الأسري وانعزال كل فرد من أفراد الأسرة في عالمه الجديد واعتقاده أن مسيرته لتقنية العصر كأنه يقوم مثلاً بإجراء محادثة الكترونية (الشات) عبر جهاز الكمبيوتر ستغنيه عن المناقشة والتحدث مع أفراد أسرته.

فنحن لا نطالب بأن تتكفل الأسرة مع بعضها دائماً ولكن يكفي ساعة أو ساعتين في اليوم للقاء الأسري وذلك بأن يحرص أفراد الأسرة على الالتفاف حول مائدة الطعام في وقت محدد وكذلك أهمية حرص الوالدين على تبادل الآراء والأخبار عما يدور بين الأبناء وهذا لا يغني عن الجرعة اليومية من حنان الأم وعطف الأب إن كانوا على قيد الحياة أو أحدهما... وهذا ما لا يمكننا الاستغناء عنه كلنا مهما كبرنا وتقدمنا وتقلدنا أعلى المناصب في الحياة وانفصلنا عن أسرنا بزواج أو دراسة أو سفر.

ديكتاتورية الآباء

وتضيف د. ليلي عبدالمجيد أن هناك العديد من الأسباب والدوافع التي أدت بشكل غير مباشر إلى انعدام الحوار وفشله في الوقت الحاضر وسيادة لغة الصمت الأسري وكان على رأس هذه الأسباب تباين المستويين الثقافي والعلمي بين أفراد الأسرة الواحدة وكان لهذا تأثير سلبي في التقليل من فرصة الحوار وذلك ظناً منهم بعدم فهم كل طرف لما يحمله الطرف الآخر.

هذا فضلاً عن انعدام الثقة بقدرة الحوار على إحداث النتيجة المطلوبة هذا بجانب انشغال كل من الأب والأم بأعماله ومهاراته بعيداً عن الأبناء والمنزل وعدم أخذ الحوار على محمل الجد باعتباره ترفاً زائداً للأبناء فيمكن الاستغناء عنه، بالإضافة إلى اقتحام الفضائيات ووسائل التقنية الحديثة لحياة الأسر والتي أخذت الوقت الذي تقضيه الأسرة في الحديث.

هذا بجانب تسلط بعض الآباء وسيطرتهم تجعلهم يرفضون الحار مع أبنائهم اعتقاداً منهم بأنهم أكثر خبرة من أبنائهم فلا يعطون لهم حق مناقشتهم.

أما عن الآثار السلبية الناتجة عن انعدام لغة الحوار الأسري بين أفراد الأسرة الواحدة فتقول د. عزة كريم أستاذة علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية وعضو المجلس القومي للمرأة إن من أخطر الآثار السلبية لانعدام لغة الحوار الأسري هو تفكك الشكل الاجتماعي للأسرة وفرقتها وانتشار البغضاء من قبل الأبناء تجاه الآباء..

هذا وقد يؤدي انقطاع الحوار الأسري بين الأبوين وأبنائهما منذ الصغر إلى انقطاع صلة الرحم في الكبر وأيضاً نجد أن انعدام الحوار الأسري قد يولد أمراضاً نفسية خطيرة يصعب علاجها في المستقبل فتجعل من الابن إنساناً معزولاً رافضاً لشتى أساليب الحوار والمناقشة مع الأشخاص الذين يقابلهم في حياته المستقبلية.

وتؤكد د. عزة كريم أنه إذا لم تتوفر لغة الحوار بين الأبناء والوالدين منذ الصغر، فذلك سوف يدفع الطفل إلى أوهام خاطئة حول أسئلته فتجده يلجأ إلى مصادر غير موثوق بها للحصول على الإجابة التي يريدتها الأمر الذي يؤدي إلى تشويه فكره واحتفاظه بإجابات خاطئة تؤثر عليه في المستقبل وتجعله فريسة سهلة لرفاق السوء بغاية التعبير عن ذاته والتنفيس عما بداخله.

أما عن الحلول المقترحة لعلاج ظاهرة الصمت الأسري وانعدام لغة الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة فينبغي عرض إعلانات تلفزيونية من خلال القنوات الفضائية تحث الأبوين على أهمية الحوار الأسري وفوائده بالنسبة للأسرة والمجتمع وتأثيره على نفسية الطفل وحياته.

حرص الأبوين على قراءة الكتب العلمية التي تعينهم على كيفية قيام لغة الحوار فيما بينهم وبين أبنائهم. والحرص على إقامة حملات ترعى علاج مثل تلك القضايا وذلك للعمل على علاجها وتجنب آثارها الخطيرة على المجتمع... فضلاً عن أهمية إقامة ندوات وخطب في الأماكن التي يتردد عليها الآباء كدور العلم ودروس الدين والمساجد عن أهمية إقامة لغة حوارية بين الأبوين والأبناء حتى يتسنى لنا تربية جيل يقدر معنى الحياة الأسرية والتعاون بين أفراد الأسرة.

* كاتبة صحفية وباحثة - القاهرة - جمهورية مصر العربية. ■